وفرد واحد لن ينقذ الشجرة وأفراد لن ينقذوا الشجرة رغم التفاوت في قيمة الافراد، فالجذور أهم من الفروع والفرع أهم من الغصن ... الخ ولكن مكايفر ورامبو وسوبرمان وماجستي وما نشاهده من أبطال خارقين في الافلام الامريكية ليس سوى تمجيد للبطولة الفردية الوهمية، أما البطولة الحقيقية فهي بطولة الجماعة التي تتخللها بطولات فردية فذة. وحتى الافراد العظام لا يتعدون كونهم الحلقة الأهم والأقوى في سلسلة الجماهير، القادرة على قيادة السلسلة الجماهيرية والتعبير عن أهدافها كما كتب منذ قرن بليخانوف.

والفرد مهما كان عظيما فهو ليس أهم من الجماعة وليس أكثر ثورية من الجماعة ولا أذكى من الجماعة/ولا أكثر فائدة من الجماعة، فهل ثمة فرد قدم آلاف الشهداء وأضعافهم من المعتقلين كما الجماعة، وهل ثمة فرد يختزن من الذكاء والفكر أكثر من آلاف الثوريين، وهل ثمة فرد ناضل وأنجز أكثر من مجموع نضالات وإنجازات الجماعة؟!

إذا لنكف عن النرجسية التي تعشق ذاتها، النرجسية مأخوذة من نرسيسبوس في الأسطورة الاغريقية القديمة، الذي كان يرى وجهه في الماء قبل صقل الزجاج، فأحب محياه وأعجبه شكله وأخذ يتفحص نفسه حتى سقط في الماء وغرق ومات لتنبت مكانه وردة صفراء .. واليساري ليس نرجسيا، بل ثوريا عقلانيا، يعرف الثغرات في نفسه قبل غيره ويرتقها.

وحتى على صعيد الأفراد فهل ثمة فرد فينا أكثر تضحوية وانتاجا ووعيا ومراسا و... من أكبر القادة الثوريين لليسار؟ .. الجواب كلا. إذا لماذا نهرب من ساحة اليسار طالما أننا أقل من سوانا.

إن الرد ليس الهرب بل الفعل. وأحيانا يكون الظرف الموضوعي قاهرا بشكل إستثنائي فيضع العامل الذاتي في الزاوية، ليس تبرئة للعامل الذاتي وطمسا لعيوبه، بل لإدراك العامل الموضوعي وتأثيراته ... ففي الأمس القريب جبهة فراباندو مارتي اليسارية إقتحمت العاصمة وتحصنت في الاحياء الشعبية وشنت هجوما إستراتيجيا غير أن الامبريالية الامريكية دعمت النظام بالسلاح والخبراء وو... فاحبطت إمكانية النصر، وهكذا فعل الاجتياح السوري للبنان عام ١٩٧٦ .. وها نحن نلمس على جلودنا وأعصابنا إسقاطات الهجمة الامبريالية على المنطقة .. الخ. وهذه لن نقهرها بضربة سحرية. فذهنية الشعب المبنية على الغيبيات تنتظر ضربة سحرية مرة من السماء ومرة من